ملامح الواقعية السحرية
في رواية "شيء من سالومي" للدكتورة سهير المصادفة
بين النظرية والتطبيق

وائل فؤاد إسماعيل عبداللطيف*
dr.waelfouad12@gmail.com

ملخص:
هذا البحث يتناول "ملامح الواقعية السحرية في رواية "شيء من سالومي" للدكتورة سهير المصادفة بين النظرية والتطبيق" لمعالجة الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية والدينية اعتمادا على مشاهد الخيال "الواقعية السحرية" حيث يعمل على إبراز موضوعاتها والتي من أهمها تناول فترات مهمة في تاريخ مصر، فكان لذلك الأثر الأكبر في تحوله وتغييره، لاتخاذ الرواية مكانا وحيزا روائيا تسير من خلاله باقي العناصر السردية في الرواية.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي في العرض والتحليل، وبدأ بالتمهيد وفيه إطلالة عامة على الواقعية السحرية وحقيقة المصطلح، ثم التعريف المختصر بالكاتبة وعرض أعمالها وحياتها العلمية، ثم الحديث عن رواية "شيء من سالومي" بإيجاز، ثم تسليط الضوء على بعض المشاكل التي عالجتها الرواية، كذلك تناول البحث الخصائص الفنية المتعددة في الشكل والمضمون، التي بنيت عليها الرواية من زمان ومكان وأشخاص وأحداث ولغة، ثم انتهى إلى خاتمة، ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث والدراسة.

الكلمات المفتاحية: الواقعية السحرية، سالومي، سهير المصادفة، النظرية والتطبيق.

* مدرس بقسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا ـ جامعة الأزهر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:** فتنتمي هذه الرواية إلى "الواقعية السحرية" وهي تيار ازدهر في روايات وقصص أمريكا اللاتينية وذلك في ستينيات القرن الماضي على يد عددٍ من أدباء أمريكا اللاتينية الذين استطاعوا أن يبدعوا في هذا التيار الروائي الجديد إبداعاتٍ قويةً أثارت دهشة القراء في شتى أنحاء العالم، وقد كان تيار الواقعية السحرية من أبرز الاتجاهات الأدبية وأكثرها جذبا للقراء والنقاد، وبفضله أصبح كتاب أمريكا اللاتينية في مقدمة كتاب العالم(١)، وهذا التيار يقوم على الفانتازيا التي تختلط في أحداث تلك الأعمال السردية الوقائع المعقولة باللامعقولة، والممكن بالمستحيل، ويدل مصطلح الواقعية السحرية على تيار روائي، ويعد جابريل جارثيا ماركيز(٢) من أبرز كتاب الواقعية السحرية في الأدبين اللاتيني والعالم، وقد وقع اختياري لـ رواية "شيء من سالومي" للدكتورة سهير المصادفة، والتي تعد من أبرز كتاب الرواية المعاصرين

(١) ينظر: جابريل جارثيا ماركيز بين جائزة نوبل ١٩٨٢م، ووفاته، سنة ٢٠١٤م، للدكتور/ حامد أبو أحمد، ص ٩، مجلة إبداع، العدد ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠١٤م.

(٢) جابريل جارثيا ماركيز: ولد سنة ١٩٢٨م في كولومبيا، ثم حصل على الثانوية العامة من إحدى المدارس اليسوعية، ثم التحق بالجامعة الوطنية في بوجوتا، صدر له العديد من الروايات من أشهرها رواية مائة عام من العزلة التي نال عنها جائزة نوبل، سنة ١٩٨٢م، وخريف البطريرك، والحب في زمن الكوليرا، والجنرال في متاهته، والحب وشياطين أخري، والكولونيل لا يجد من يكاتبه، رحل عن عالمنا عام ٢٠١٤م، ينظر: جابريل جارثيا ماركيز بين جائزة نوبل ١٩٨٢م ووفاته ٢٠١٤م، ص ١٤، وللمزيد: في الواقعية السحرية، للدكتور/ حامد أبو أحمد، ص ٣٩، دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

في مصر والوطن العربي؛ فقد تحدثت في الرواية عن الكثير من المشاهد في القضايا السياسية والاجتماعية والدينية، ومزجت ذلك بالفانتازيا "الواقعية السحرية"، للوصول لمعالجة هذه القضايا والوصول إلى الغايات النبيلة التي كُتبت من أجلها الرواية، وذلك في ثوب ممتزج بالواقعية السحرية، وبهذا تعد هذه التجربة محاولة وإضافة جادة لتأسيس واقعية سحرية عربية تنهل من معين التراث العربي والشعبي الخالِدَين، ولم يكن اختياري لرواية "شيء من سالومي" كون الرواية مليئة بالواقعية السحرية، وإنما" لتحقق مجموعة من الشروط والعناصر التي تتحقق من خلالها الواقعية السحرية بمفهومها الحديث"(١).

كما أنني لا أدعي أن موضوع الواقعية السحرية جديد كل الجدة، فغالبية المراجع التي تحدثت عن الواقعية السحرية أكدت أن العرب القدماء عرفوا هذه التقنية، وأسموها بالعجائبي أو الأساطير أو الخرافة.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي في العرض والتحليل، وبدأ البحث في التمهيد بإطلالة عامة على الواقعية السحرية وحقيقة المصطلح، ثم التعريف المختصر بالكاتبة وأعمالها، ثم الحديث عن رواية "شيء من سالومي" بإيجاز، ثم تسليط الضوء على بعض المشاكل التي عالجتها الرواية، كما تحدث البحث عن العنوان ودلالاته، وبعد ذلك تم تناول البنية السردية بإيجاز من شخصيات ومكان وزمان وأحداث ولغة، وهكذا وقف البحث على مع البناء السردي كله في عرض موجز، وانتهت هذه الرحلة القصيرة بالخاتمة، ليعرض البحث أهم النتائج التي تكشَّفَتْ وتوصل إليها الباحث. والله ولي التوفيق.

(١) في الواقعية السحرية، تأليف/ حامد أبو أحمد، ص ٥.

التمهيد

الواقيعة السحرية وحقيقة المصطلح

يطلق مصطلح الواقعية السحرية على "نوع من القص الذى يضم أحداثا غرائبية فنتازية في سرد يحتفظ بالنغمة الموثوق بها لسرد موضوعي واقعي" (١)؛ كما تُعرَّفُ أيضا بأنها "نوعٌ من الرواية الحديثة يتضمن السرد فيها أحداثا خرافيةً وخياليةً تظل محتفظةً بطابع الموثوقية في الروي الواقعي الموضوعي، وهى تدل على ميل الرواية الحديثة للوصول إلى ما وراء الواقعية، وإعادة صياغة قدرات الخرافة والحكاية التراثية والأسطورة في الوقت الذي تظل محتفظةً فيه بصلة ارتباطٍ اجتماعيةٍ قويةٍ"(٢).

كما توصف الواقعية السحرية بأنها "أحداثٌ غريبةٌ ومستحيلةٌ في قصةٍ تميل أحداثها الأخرى إلى الواقعية، وقد ارتبطت بصفةٍ خاصةٍ بالقصص المعاصرة في أمريكا اللاتينية"(٣)،

والواقعية السحرية لها جذورها في الأدب العربي القديم، فلم يخل أدب الخيال أو العجائبي من ذلك، حيث إن: "الجذور التراثية العربية تمنحنا الحق في أن يكون لنا باع طويل في الواقعية السحرية، وهذه الجذور تبتدئ في كتب وأعمال كثيرة من بينها كتاب "ألف ليلة وليلة، وكتاب التيجان في ملوك حمير، والسير الشعبية، وعجائب الهند، ورحلة السيرافي، وقصص الأنبياء،

---

(١) السرد بين الرواية المصرية والأمريكية، تأليف/ عفاف عبد المعطي، ص ٥٤، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٧م.

(٢) الواقعية السحرية في الرواية العربية، تأليف الدكتور/ حامد أبو أحمد، ص ٥، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.

(٣) الفن الروائي، تأليف/ ديفيد لودج، ترجمة/ ماهر البطوطي، ص ١٣٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٢م.

وقصص القرآن، وكتاب الأغاني، وغير ذلك من الكتب والمؤلفات التي تدخل في حيز الواقعية السحرية"[١].

وقد اشتمل الأدب العربي على الكثير من القصص والحكايات التي تدخل في دائرة الأدب العجائبي والواقعية السحرية، وهذه الحكايات ترجع إلى العصر الجاهلي في عدة مظاهر كان أبرزها علاقة الشاعر الجاهلي بالجن والشياطين؛ فقد اشتمل كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي على باب أسماه المؤلف شياطين الشعراء، وأورد فيه عددا من أسماء الشياطين المشهورين مثل مسحل صاحب الأعشى، ولافظ بن لاحظ صاحب امرئ القيس[٢].

ومن هذا المنطلق يرى الدكتور/ حامد أبو أحمد أن الأدب العربي له إسهام بارز في الواقعية السحرية مع شرط مهم، وهو أن نضع الأمور في موضعها الصحيح فلا ندعي ما ليس لنا؛ أي لا نقول عن ظاهرة الواقعية السحرية إنها بضاعتنا التي ردت إلينا، ومن هنا ندرك أن الواقعية السحرية تراث إنساني ظل يتطور حتى أخذ كتاب أمريكا اللاتينية زمام المبادرة، وأبدعوا فيه إبداعات قوية ومهمة في القرن العشرين، أثاروا من خلالها دهشة العالم؛ لدرجة أننا أصحاب التراث الزاخر في هذا المجال أخذنا ننتبه إلي إمكانية إسهامنا في هذا التيار الجديد[٣]، وتعد طبيعة أمريكا اللاتينية من أهم عوامل ظهور الواقعية السحرية

(١) الواقعية السحرية في الرواية العربية، تأليف الدكتور/ حامد أبو أحمد، ص ١٥، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: حبكة العجائبي في المتخيل السردي، لميسوم عبد القادر، ص ١٤٩، حوليه كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ديسمبر، سنة ٢٠١٤م،

(٣) ينظر: الواقعية السحرية في الرواية العربية، للدكتور/ حامد أبو أحمد، ص ٢١.

من حيث المناظر الطبيعية والغابات العذراء، وصياغة الإنسان فيها من الناحية الكونية، وحضور العنصر الهندي والأسود الغريب، وغرابة اكتشافها الحديث؛ مما جعل أمريكا اللاتينية شلالاً يتدفق بالسحر والأساطير(١).

وقد كان للحروب والاستعمار تأثير كبير على الحياة العصرية؛ فالحرب حالة من جنون على نطاق واسع؛ فكانت الواقعية السحرية انعكاسا لحياة فقدت الكثير من معقوليتها(٢).

ومن أبرز الكتب التراثية العربية التي تجلت فيها ظاهرة العجائبية في صور متعددة كتاب "ألف ليلة وليلة" الذى تأثر به عدد كبير من الأدباء حول العالم؛ وتتجلى الموضوعات العجائبية في كتاب "ألف ليلة وليلة" في عدة صور منها التحول والمسخ، وعوالم الجن والسحر والخوارق. والعالم العجائبي في هذا الكتاب "يقوم على وصف عوالم فوق طبيعية داخل عالم طبيعي مألوف، وشخوص يتخذون هيئات كثيرة أي يطالهم الامتساخ والتحول؛ مما يدعو إلى الحيرة والتردد في نفس المتلقي(٣)، كما أن هذا أول كتاب قرأه/ جابريل جارثيا ماركيز، وهو في السابعة من عمره، كما ذكر الكاتب الأرجنتيني/ خورخي لويس بورخيس أنه كان يصطحب في كل رحلاته الخارجية عددا من الكتب من بينها نسخة من كتاب

(١) ينظر: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، للدكتور/ صلاح فضل، ص ٣٠٣، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

(٢) ينظر: الواقعية السحرية في الرواية المصرية المعاصرة، رسالة ماجستير مخطوطة، إعداد الباحثة/ إيناس نبيل محمد، ص ١٣، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، سنة ٢٠١٠م.

(٣) ينظر: العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة ماجستير، مخطوطة، إعداد الباحثة/علاوي الخامسة، ص ٩٥، كلية اللغات والآداب، جامعة منتوري، الجزائر، سنة ٢٠٠٥م.

" ألف ليلة وليلة[١]، ومن المؤلفات التراثية التي عنيت بالعجائبي رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وهى تصور رحلة إلى وادى الجن تحمل مصاعبها (أبو عامر) الذي التقى توابع الشعراء والكتاب طمعا في نيل إجازاتهم له في نظم الشعر، وقد اتخذ أبو عامر جنياً تابعا له كان يطير به متنقلاً بين الشعراء الجاهليين والشعراء العباسيين[٢].

وتدخل رسالة الغفران للمعري في دائرة الواقعية السحرية؛ حيث تتخذ من العوالم المرئية واللامرئية معراجا احتذاه المعري من تواتر قصة الإسراء والمعراج ، ليطرح نقده الفكري والاجتماعي، ورسالتي التوابع والغفران فيهما بعض عناصر الواقعية السحرية كأنسنة الحيوانات والجمادات التي تغدو كائنات عاقلة تتميز بالسحر والبيان، وهذا ما يخالف طبيعتها المألوفة[٣].

ومن أبرز الأسباب التي دفعت إلى ظهور الواقعية السحرية ما يتعرض له الكتاب من ضغوط اجتماعية وسياسية تمنعه من التعبير عن إبداء رأيه بصورة مباشرة ؛ فيلجأ الكاتب إلى ترميز خطابه الروائي عن طريق الفنتازيا والعجائبية، كي يتمكن من التعبير عن أفكاره وآرائه[٤]، ويعد هذا من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ظهور هذا الأدب.

(١) ينظر: الواقعية السحرية في الرواية العربية، للدكتور/ حامد أبو أحمد، ص١٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: حبكة العجائبي في المتخيل السردي، ص ١٤٩.

(٣) ينظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٤) ينظر: سحر العجائبي في رواية وراء السراب قليلا، تأليف/ نجاح منصوري، ص ١٥٤، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد ٨، سنة ٢٠١٢م.

ومما سبق نستخلص أن الواقعية السحرية لها وجود جذور عربية لهذا الأسلوب القصصي، وإن كان قد تطور وازدهر في أمريكا اللاتينية مؤخرا، وهذا ما أشار إليه الناقد الدكتور/ حامد أبو أحمد، وغيره من النقاد.

إطلالة عامة على الكاتبة سهير المصادفة وسيرتها الذاتية[١]

أما عن الكاتبة لهذه الرواية "شيء من سالومي" فهي الأديبة الدكتورة سهير المصادفة، روائية وشاعرة مصرية، حصلت على الدكتوراه عام ١٩٩٤م من موسكو، وهي عضو اتحاد كتاب مصر، وعملت رئيسا لتحرير سلسلة كتابات جديدة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، وكانت مشرفا عاما على سلسلة الجوائز بالهيئة، وكانت عضو اللجنة التنفيذية في مشروع مكتبة الأسرة وكانت عضو اللجنة التحضيرية للنشاط الثقافي في معرض القاهرة الدولي للكتاب، نظمت العديد من الندوات والمحاور الثقافية للنشاط الثقافي المصاحب لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، وأسست أيضا جناحا لمناقشة المبدعين الجدد بعنوان إبداعات جديدة، كما شاركت في هيئة تحرير وترجمة بعض القواميس والموسوعات في مصر مثل "قاموس المسرح" و"موسوعة المرأة عبر العصور و"دائرة المعارف الإسلامية، تتولى منصب رئيس الإدارة المركزية للنشر بالهيئة العامة للكتاب.

---

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، تأليف الدكتورة/ سهير المصادفة، غلاف الرواية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، سنة ٢٠٢٢م، وينظر: بنية الشخصية في روايات "سهير المصادفة" بياض ساخن أنموذجا– دراسة سيميائية، للباحثة/ يمنى محمد السيد إسماعيل، ص ٢، ٣، كلية الآداب– جامعة الإسكندرية، سنة ٢٠٢٢م، وينظر: موقع الدستور، الرابط: https://www.dostor.org/4183037

أعمالها ونشاطاتها الثقافية والعلمية

١- الأعمال الأدبية:

أولا:- المجموعات الشعرية، منها:

- ديوان «هجوم وديع»، سنة ١٩٩٧م.
- ديوان «فتاة تجرب حتفها»، سنة ١٩٩٩م.

ثانيا- الأعمال القصصية، منها:

- مجموعة قصصية "هجوم وديع"، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
- مجموعة قصصية "فتاة تجرب حتفها": الطبعة الأولى، دار المسار، الشارقة، سنة ١٩٩٩م.

ثالثا- الأعمال الروائية، منها:

- رواية "لهو الأبالسة"، الطبعة الأولى، دار ميريت، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.
- رواية "ميس إيجيبت"، الطبعة الأولى، دار الدار، القاهرة، سنة ٢٠٠٨م.
- رواية "رحلة الضباع"، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠١٣م.
- رواية "بياض ساخن"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، سنة ٢٠١٥م.
- رواية "لعنة ميت رهينة"، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، سنة ٢٠١٧م.

– رواية "يوم الثبات الانفعالي"، الطبع الأولى، دار إيبيدي للنشر، سنة ٢٠١٩م.

– رواية "الحديقة المحرمة"، الطبعة الأولى، المجموعة الدولية للنشر، سنة ٢٠٢١م.

– رواية "شيء من سالومي"، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة ٢٠٢٢م.

رابعا: مؤلفات في أدب الطفل: فقد تم نشر العديد من المؤلفات في أدب الطفل بدور النشر المختلفة، مثل: "الطاوس المغرور" و"الطحلب الغيور" و"رحلة الكلب العجوز" و"الفأر والبيانو".

خامسا: مُتَرجِمَة للعديد من الكتب والمؤلفات: فلها العديد من الكتب المترجمة عن اللغة الروسية ومنها: كل الحكايات الخرافية للشاعر الروسي الكبير "بوشكين" عن المركز القومي للترجمة، والكثير من حكايات كاتب الأطفال الروسى الكبير "أفاناسيف" عن المركز القومي للترجمة، وعن دار أطلس للنشر.

– رواية "توت عنخ آمون" للكاتب "باخيش بابايف" عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٧م.

– العديد من القصائد المترجمة فى الدوريات الأدبية في مصر وخارجها.

سادسا: محررة أدبية: حيث شاركت في هيئة تحرير وترجمة بعض القواميس والموسوعات في مصر مثل: قاموس المسرح، موسوعة المرأة عبر العصور، موسوعة الطفل.

سابعا: العضويات:

- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو أتيليه القاهرة للمبدعين والفنانين.

ثامنا: الجوائز والتكريمات: حيث حصلت على العديد من الجوائز أهمها:

- أفضل رواية عن روايتها "لهو الأبالسة" من اتحاد كتاب مصر، سنة ٢٠٠٥م.
- جائزة أندية فتيات الشارقة للشعر من الشارقة عن ديوان "فتاة تجرب حتفها"، سنة ١٩٩٩م.
- جائزة التميز للعمل في مشروع مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٨م.
- عشرات الجوائز والتكريمات وشهادات الشكر من المحافل الأدبية ومحافظات مصر ومراكزها الأدبية.

تاسعا: دراسات علمية حول أعمالها:

- تم تناول أعمالها الأدبية ومناقشتها في العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المصرية والعربية، منها جامعة القاهرة والإسكندرية وجامعة سوهاج وجامعة المنيا وجامعة السادس من أكتوبر، وجامعة السلطان مولاي سليمان (بني ملال بالمغرب).
- كما تم دراسة أعمالها في مختبرات السرد المصرية والعربية.
- نوقشت أعمالها في معظم الندوات والمحافل الأدبية داخل مصر والخارج.
- تم تناول أعمالها الأدبية في الكثير من المطبوعات الأدبية من جرائد ومجلات ووسائل الإعلام المختلفة.

– تم تحويل رواياتها إلى مشاريع تَخَرُّج في معاهد السينما والإعلام، مثل تحويل روايتها "لعنة ميت رهينة" الأخيرة إلى مشروع تَخَرُّج لطلبة جامعة ٦ أكتوبر، لسنة ٢٠١٧م.

– تم تحويل رواياتها إلى مشروعات تَخَرُّج سينمائية لخريجي الجامعات، فتم التعاقد على تحويل رواية: "ميس إيجيبت" إلى فيلم سينمائي، ورواية: "لعنة ميت رهينة" إلى مسلسل تليفزيوني.

– تم ترجمة رواياتها إلى اللغة الإنجليزية والإسبانية والصينية.

٣-نشاطاتها الثقافية والعلمية:

– شاركت في عشرات المحاور الثقافية والأدبية في مؤتمرات ثقافية في مصر والخارج، كما قامت بعمل ورش للكتابة الأدبية والرواية والكتابة للطفل والترجمة.

– شاركت بإلقاء شهاداتها الروائية في مصر والعالم العربي.

– شاركت في العديد من المؤتمرات والمعارض الدولية والأمسيات الشعرية في مصر والخارج.

– كاتبة صحفية، تنشر مقالاتها ومشاركاتها الأدبية في عدد من المجلات الأدبية الدورية وغير الدورية والجرائد الأدبية والصفحات الثقافية بالجرائد اليومية والأسبوعية.

– تكتب للأهرام والمجلات الأدبية المختلفة العربية المتحدة.

– كتبت مقالاتها ودراساتها الأدبية لجريدة الأهرام المصرية، ومجلة نصف الدنيا التابعة لمؤسسة الأهرام، وبوابة الحضارات التابعة للمؤسسة نفسها، ومجلة تراث الإماراتية، ومجلة العربي الكويتية، ومجلة الثقافة الجديدة، ومجلة الرواية، والعديد من الجرائد والمجلات الثقافية.

– كتبت مقالاتها ودراساتها الأدبية لجريدة الأهرام المصرية، ومجلة نصف الدنيا التابعة لمؤسسة الأهرام، وبوابة الحضارات التابعة للمؤسسة نفسها، ومجلة تراث الإماراتية، والحوار المتمدن، ومجلة العربي الكويتية، ومجلة الثقافة الجديدة، ومجلة الرواية، والعديد من الجرائد والمجلات الثقافية.

– ألقت محاضرات عن الكتابة الأدبية وتحديدًا الرواية والترجمة في العديد من الجامعات المصرية والعربية المختلفة، مثل:

- جامعة القاهرة: كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية، "محاضرة خاصة حول الكتابة الروائية".
- جامعة عين شمس، كلية الألسن، قسم اللغة العربية، حول الترجمة.
- جامعة العين بالإمارات العربية المتحدة، حول الكتابة الأدبية "أدب الطفل".
- جامعة بدر، حول الترجمة من الأدب العربي إلى لغات أجنبية.
- الجامعة الأمريكية بالقاهرة، حول حرية الإبداع.

البنية السردية في رواية شيء من سالومي

في هذه الروايةِ التي بينَ أيدينَا هروبٌ منَ الواقعِ للدخولِ فيما يُسميه النقادُ بالواقعيةِ السحريةِ أو طرقِ أبوابِ الخيالِ الفانتازيا، ربما أرادتْ الكاتبةُ تقديمَ النصيحةِ التي عَجزَتْ عنها في الواقعِ فَسطرتْ بقلمِها وأدواتِها الفنيةِ التي بدتْ واضحةَ المعالمِ والأركانِ في اللغةِ والحبكةِ الفنيةِ والأحداثِ واستحضارِ الأماكنِ التي بدتْ واضحةَ أكثر مما يلزمُ، فقامتْ بوصفِها بدقةٍ متناهيةٍ، ومزجتْ فيها الواقعَ إلى ما وراءَ الواقعِ؛ لأن الأمرَ يتعلقُ بمحاولةِ اكتشافِ الحاضرِ أو الواقعِ، فمزجت بين الواقعِ والخيالِ في صورةٍ مليئةٍ بالاضطرابِ والقلق، ويمكن القول بأنَّ الكاتبةَ نجحتْ في ذلك وإيصالُهِ للمتلقي، وأبرهنُ على ذلك: أنَّ منْ يقرأ فصولَ الروايةِ سوفَ يَلحظُ هذا النقدَ لهذا الواقعِ المريرِ الذي آلم الكاتبة باختلاف أبعادِه ومآسيه، وهي بذلكَ ترفضُ الكثيرَ من الواقعِ المعيشِ؛ لتجعل الناسَ تنتبه لمثل هذه القضايا التي تمر بهم وما بها قهر وفساد اجتماعي وسياسي، والتي سوفَ يَجنونَها مِنْ وراء هذا الفسادِ والطمعِ، والتي رَموهَا وراء ظهورِهم واندمجوا في ملذاتِ النعيمِ الزَّائلِ القليلِ المتاعِ الذي يختلطُ فيه التعبُ بالراحةِ والخيرِ بالشرِ والمصائبِ والابتلاءات، وفي هذا الوصفِ وهذه اللوحاتِ الفنيةِ الدقيقةِ احتجاجًا، وعدمَ الرضا، والرفضُ لما تراه الكاتبةُ من أمورٍ لا ترتضيها هي أو أهلُ العدلِ أصحابِ العقولِ النَّيرةِ الذين تربَوا على الأمانةِ والشرفِ على العاداتِ والتقاليدِ الطيبةِ أو الواقعِ القائمِ أي ذلك الاكتشاف الذي يتغلغلُ إلى دواخلِ العالمِ وباطنِه، وقد بثتِ الكاتبةُ القلقَ والاضطرابَ ومزجِه بالسخريةِ في كثيرٍ من المواقفِ، سخريةٌ يُشتمُ منها رائحةُ الغدرِ والخيانةِ، وبهذا تنقدُ لواقعٍ اختلفتْ أبعادُه.

تعرض الرواية حكايتين، متباينتينِ في الزمانِ والمكانِ، وإن شئتَ فقل في الجغرافيا والتاريخ والإطارِ السياسي الذي أفرزهُما، وهذا بأسلوبٍ روائي، والذي استطاعتْ من خلالِه الكاتبةُ الروائيةُ الدكتورة سهير المصادفة إيجادَ مساحةٍ مشتركةٍ لتجميعِ والتقاءِ الشخصياتِ بما تحتويه مِنْ مفاهيمٍ وعباراتٍ، ظَاهرهُا الانسانيةُ والنَّزعةُ الدينيةُ والتصوفُ والعشقُ والعدالةُ والاغترابُ ....الخ.

أولا: عتبات العنوان: "شيء من سالومي" سالومة : «هي إحدى الشخصياتِ المذكورةِ في العهدِ الجديدِ، وهي غيرُ سالومي التي طَلَبتْ قتلَ يُوحنا المِعمدان من الملكِ هِيرودس؛ إذ تظهرُ سالومةُ واحدةً من أتباعِ يسوعَ المسيح التي تبعته وقد ذُكرتْ في كلِّ الأناجيلِ، أي إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا وإنجيل يُوحنا؛ وهي أيضًا بحسب هذه الأناجيل والدة اثنين من تلاميذ المسيح الاثني عشر هما يوحنا بن زبدي ويعقوب بن زبدي، وربما شقيقة مريم العذراء والدة يسوع، كذلك تشتق سالومة في اللغات السامية من شالوم أو سلام أو سلمى في اللغة العربية والتي تعني السلام، ومعنى الاسم: الاسم "سالومي" هو صيغة المؤنث من سليمان، وطبقًا لما يقوله ولكنسون، فهو الصيغة اليونانية من **Shalom** شالوم بمعنى السلام»[١].

(١) ينظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A9

ثانيا: شخصيات الرواية: شخصيات رئيسة محورية وشخصيات ثانوية. والشخصيات: يقهرها راهنُ القاسي والمشوه الذي ترغبُ في تغييرِه أو شخصياتٌ تقعُ معهَا أحداثُ فوق الطبيعية.

ومن خلال ما ذُكر تكون الكاتبة قد ذكرتْ بعضَ المعلوماتِ التي تَرسمُ صورةً لشخصياتِها الروائيةِ في ذهنِ المتلقي، تجذبُها إلى ما تقومُ به هذه الشخصيات من أعمالٍ، وما يقع معها من أحداث فوق طبيعية؛ ومن ثَمَّ يستطيعُ المتلقي الوقوفَ على أبعادِ الشخصياتِ سواءً بوصفِها الداخلي أو الخارجي، وما ينوعها إلى مونولوج وديالوج.

ومن الشخصيات الرئيسة: الشيخ صلاح المحمدي الصوفي العاشق المتزوج باثنتين وله أبناء والذي يقع في حب سالومي.

تقول الراوية العليمة منذ بداية المشهد الأول في الرواية عن طريق الوصف الخارجي والداخلي للشخصية: كانَ الشيخُ صلاحُ المحمديُّ يستمعُ إلى صريرِ الأبوابِ المغلقةِ، حينَ وصلَ إلى آيةِ: "**وغَلّقتِ الأبوابَ وقالتْ هَيْتَ لكَ**"، **فابتسمَ لنفسِه هَامِسًا: "إنِّها هي، والآيةُ إشارةٌ لقدرِه معها، أخيرًا هي"، فمَنْ يَجرؤ عَلَى قَطْعِ خُلوتِه سُواها؟ ارتعدَ جَسدُه قبلَ أن يأخذَ نفَسًا عميقًا، ليستقبلَ امرأةً ظلَّ يَحلمُ بِلقائِها لأكثرِ مِنْ خَمس سنواتٍ، لا كما يَحلمُ رَجلٌ بامرأةٍ يعشقُها، وإنِّما كَمَا يَحلمُ رَجلٌ مِثلَه بِلقاءِ فكرةٍ ظَلتْ تُؤرِّقَه ويُريدُ أن يصلَ عَبْرها إلى يقينٍ ما**"[(١)].

حيثُ تَستهلُ الكاتبةُ فَصولَ الروايةِ بمقتبساتٍ توضيحيةٍ. ففي بدايةِ الفصلِ الأولِ نجدُ مقتبسًا صوفيًا للشيخِ صلاحِ المحمدي تشيرُ الكاتبةُ إلى خلوتِه وتقربِه منَ اللهِ، فهو الإنسانُ العارفُ باللهِ الرجلُ

(١) رواية شيء من سالومي، ص ٣.

المتنورُ في عصرِنا، رجلُ الوجدانِ والحالِ، وبَعدَ ذلك تتحدثُ الكاتبةُ عنِ الصوفيةِ والمفارقةِ معَ الشيخِ صلاحِ المحمدي والتي اتضحت جليةً منذُ بدايةِ الروايةِ من العشقِ واتباعِ الهوي ويعقبُ هذا المقتبسُ الصوفيُّ مقتبسًا فلسفيًا.

سالومي: الفتاة التي دخلت على الشيخ صلاح المحمدي فقطعت خلوته والتي كان يُحبُها وذلك عندما أَدخلَها عليه الحارسُ مدبولي، وسالومي التي معنا في الرواية ليس اسمها الحقيقي وإنَّما اسمُها "آية محمد أحمد محمد الفيل" كانتْ مهندسةً قبلَ أنْ تَمتهنَ – كما تكررَ دَائمًا للمحيطينَ بها – مهنة الرقص، وقد اتهمتْه بالسَّرقةِ أي (سرقة أفكارِها) إلى ما شيَّدتْه في قصرِها؛ لأنَّه قامَ بتقليدِ كُلِّ ما يَراهُ مِنْ زَخارفَ وتزيينٍ وديكوراتٍ، وقد وقعت في حبه، تقول الراوية العليمة: "**مُذْ عادتْ من بيتِه وهي لا تفكرُ إلا فيه؛ في تَقطيبةِ جَبينِه وابتسامتِه الواسعةِ في الوقتِ نفسِه... عَليهم أنْ يَحظروا ابتسامةَ هذا الرجلِ الفتّاكةِ أو يعلّقوا عَليها لافتةً: "خَطَرٌ عَلَى قلوبِ النساءِ" بخطٍّ أحمر غليظٍ، كما يكتبونَ تَحذيراتِهم عَلَى لافتاتِ الطُّرُقِ السريعةِ حَتَّى لا تنقلبُ السياراتُ على المنعطفاتِ القاتلةِ**""[1].

وقد كَثُرَ استخدم تَقنية الوصفِ؛ لإبطاءِ السردِ في أغلبِ مشاهدِ الروايةِ في أثناءِ حوارِ الشخصياتِ مما أثرى هذا العملُ وذلك يظهرُ جليًا حِينَ استخدمتِ الكاتبةُ تَقنيةَ الدَّيالوجِ في الحوارِ خاصةً بين الشيخِ المحمديِّ وسالومي، وقد وردَ تَقنيةُ الديالوج بينَ أَغلبِ الشخصياتِ،

(١) رواية شيء من سالومي، ص ٦.

ومن ذلك حوارُ الشيخِ وسالومي المتواصلِ حتَّى نهايةِ الروايةِ، وقد تخللَ ذلك أحداثًا أخرى بينَ هاتين الشخصيتين.

فبعد أن حدثَ التعارفُ بينهما تبدأ البطلةُ "سالومي" تحكي للشيخِ صلاحِ المحمدي أمورا حدثت لجدها الصيادِ محمدٍ الفيلِ، فقد عاش في عصر الملكية في مصرَ وعَمِلَ فِي القصرِ الملكي فلاحًا ودارَ حديثٌ بينَه وبينَ الملكِ، وهنا تنتقل الواقعيةُ إلى ما وراءَ الواقعِ، ليُذكرَ له أمرَ الشكمجيةِ[1](المتمثلة في الواقعية السحرية) التي رآها في أثناءِ عملِه في البحرِ حيثُ كانَ يعملُ صَيَّادا قبلَ إتيانِه للقصرِ، ثم يطلبُ الملكُ منه "الشكمجيةَ"، فأرسلَ أحدَ رجالِه يُدعى "مروان" وهنا تتشابك خيوطُ الحَكي.

(١) الشكمجية: أوالشَكْمَجَة: (بالتركية جَكْمَجَة): صندوق مربع توضع فيه الحُلي ونحوها (أعجمية)، وقيل: هي علبة مصنعة من خشب الورد يدويا؛ ليتحفظ فيها بالأشياء الثمينة من مجوهرات وخلافه، ودخلت الشكمجية مصر وقت دخول العثمانيين، وهي تقدم الهديا فيها، وكانت تصنع بعد رحيل العثمانيين في خان الخليلي بخشب الورد المحفور يدويا ويلصق عليها الحروف الذهبية وتبطن أيضا بالحرير، ولها حضور في السينما المصرية حتى تطور الأمر وأصبحت الهديا توضع في علب بلاستك، ينظر: تكملة المعاجم العربية، تأليف/ رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه/ محمَّد سَليم النعَيمي، ٣٤٣/٦، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩م – ٢٠٠٠م، وينظر:
https://efonoon.com/products/seashell-box-d1c2f3b5008.
https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1146314915386025&id=343130529037805&set=a.81960877805664.

تقول الراوية: "**كان جدّي "محمد الفيل" يسكن في كفر الصيادين، في كوخٍ صغيرٍ من البوص، مثله مثل الجميع آنذاكَ. وذات صباحٍ صيفي جلس كعادتِه إلى جوارِ قُفّته، وعندما سحب شبكته بعد حين، خرجتْ له مع أسماكه الصغيرة شكمجية لمعتْ أصدافها تحت أوَّل أشعةٍ للشمس. حسبها في البداية مصباح علاء الدين، حتى إنه حسم أمره مع أوّلِ أمنيتين؛ أن يبني بيتًا حقيقيًّا من الطوب اللّبِن، ويكون له سقفٌ من جذوعِ نخيلٍ يغطيها بالقار، لكي تمنع عنه الأمطار والرياح وتسلّل الثعابين إلى فرشته، وأمنيته الثانية أن يتزوج بنتًا فاتنة رآها ذات فجرٍ على بابِ كوخِه، وجهها لا هو خمري ولا أبيض، وإنما بلونٍ يستحيلُ وصفه، وبشعرٍ عسليٍّ طويلٍ مثل ستارة أو سحابة تسير خلف ظهرها، وعينين مسحورتين، حيّره أمرهما؛ إذ أنهما كانتا فضيتين بلون القمر، ولكن لما أشرقتِ الشمس وفرَّتْ من أمامه لمح فيهما أيضًا خيوطًا ذهبيةً. لم تظهر له ثانية، ببساطةٍ اختفتْ حتى ظن أنها عروسُ البحر، ومن يومها وطيفُها يزوره في صحْوه ومنامه؛ عذَّبته في أحلامه بملامحها الدقيقة المغوية، وعينيها الغريبتين الحزينتين العميقتين مثل بئرٍ سحيقة، كانت تبادله نظرات الوله، وكأنها هي المدلهة بمحبته وليس هو انتظرها كلَّ فجرٍ في الموعد نفسه ولكنها لم تزره ثانية**"(١).

(١) رواية شيء من سالومي، ص ١٠.

كذلك حديث "محمد الفيل" مع الباشا ثم حديثُه مع "مَرْوان" في أثناءِ الإتيانِ بالشكمجيةِ التي اصطادَها من البحرِ وأخبرَ بها الباشا، فقال له الباشا خذْها رزقُك، لولا أنْ أخبرَه "محمدٌ الفيلُ" أنَ صورتَه عليها.

تقول الراوية وتنقل حديث الباشا مع محمد الفيل:

"مَن أنتَ يا ولد؟ ابنِ مَن؟

أنَا محمدٌ ابنُ الفيلِ؛ الفيلُ الصيادُ اللهُ يرحمُه.

الفيلُ شخصيًّا! وعاد إلى ضحكتِه المُجَلجِلَةِ، فنظرَ الشابُّ إلى الأرضِ بخجلٍ، وفكرَ أنَّه من فَرطِ ارتباكِه لم ينحنِ للباشا:

وماذا تعمل هنا يا ابن الفيل غير أكل ورد حديقتي النادر؟

لا أعملُ شيئًا، فأنَا صيادٌ مثل أبي وجدودي، ولا عملَ لي في أبعاديتكَ.

ولماذا إذنْ تقفُ على أرضي؟

احتلتُ لكي أعملَ فلاحًا هنا حتى أقابلَك ونتكلَم.

بدا له أن الباشا يريدُ أن يتسلَى اليوم، وليس لديه ما يفعلُه، فصبرَ عليه من جديدٍ حتى أنهى مخزونَ ضحكِ سنواتٍ، قبلَ أنْ يهمسَ له مُشجعًا باستهزاءٍ: ها... وعن ماذا تريدُ أنْ نَتحدثَ اليوم يا ابنَ جنابِ الفيلِ؟

وجدت شكمجية .. لا.. لم أجدها، وإنَّما في الحقيقةِ اصطدتُها من البحر. عُلِّقَتْ بشبكتي ومزقتُها، فتحتُها فوجدتُ فيها ذَهبًا وياقوتًا وماسًا ومجوهراتٍ كثيرةٍ ولفافاتٍ مربوطةٍ بشرائطَ حريريةٍ.

طيب، خذها يا بن الفيل، إنها كنزُ البحر الموعود للصياد، إنها عطيةُ الله لكَ. رزقكَ"(١).

ورُغم الفقر الذي يعيشه "محمد الفيل" يلحظ فيه الأمانة وعدم قبول ما لا يستحق، فقد كان صيادا فقيرا يعمل في البحر، حيث يبذل مجهودا في هذه المهنة التي تتطلب الالتزام والذهاب إلى البحر، ربما في الصباح الباكر، كما تتطلب الصبر؛ لجني الرزق الوفير الذي يحاول من خلاله سد حاجته وأهله، هكذا كانت حياته اليومية البسيطة التي وضحتها الكاتبة، ثم تشير الكاتبة إلى تسليط الضوء على أمر"الشكمجية" التي التفَّ حولها ملامح الواقعية السحرية، فقد أراد الباشا أن يأخذها من "محمد الفيل" بعد اصطياده لها من البحر في أثناء عمله، تقول الكاتبة على لسان محمد الفيل وأمانته: "**فقال له: نعم، كنت لأفعل، لولا أنني تعرفتُ على تصويرتك على لوح قصدير...انتظر... هل في هذه الشكمجية خلاخيلُ نسويةٌ مطعَّمةٌ بفصوصٍ من المرجان الأحمر؟**

نعم، بها اثنان.

هذه الشكمجية لي يا ابن الفيل، فاذهب، وأتني بها فورًا.

ولكنها بها حُلي نسوية يا باشا.

هي لمَلك شاه؛ إحدى نسائي.. ثم غامتْ عيناه بالدموع، وتحشرج صوتُه، وأجهش في البكاء..."(١).

(١) رواية شيء من سالومي، ص ١٧، ١٨.

في المقطع السابق تشير الكاتبة لأمانة "محمد الفيل"، رُغم فقره، واحتياجه لمثل ما وجد، فهو لا يريد أخذ "الشكمجية" التي اصطادها بسبب وجود رسم بتصوير الباشا عليها، وهذا ما جعله يذهب له رُغم صعوبة مقابلته، كما يلحظ أن الراوية العليمة تسرد الأحداث بضمير الغائب كان، كانت، قال، قالت.

وبعد ذلك تبدأ مشاهد الواقعية السحرية في حديث "محمد الفيل" مع "مروان" عندما طلب الباشا "الشكمجية"، فقد طلب من "مروان" الذهاب مع "محمد الفيل" لإحضارها إليه، تقول الراوية على لسان الباشا:

- **"اذهب معه يا مروان وأتني بها.**
- **هذا وعدٌ يا باشا، أليس كذلك؟! ووعود الكِبار عهود.**

أومأ الباشا برأسِه، فانطلق الشابان معًا.

في الطريق، حاول محمد الفيل أن يغري مروان بالحديث، فأخذ يحكي له كيف مات جميع أهله؛ الواحد وراء الآخر، معظمهم في الوباء، وبقيتهم لأسبابٍ مختلفةٍ؛ إمَّا غرقًا في البحر وإمَّا بلدغةِ عقرب، أو هكذا ببساطةٍ؛ بدون أي أسباب، يأخذون نفَسًا ولا يخرجونه ثانية من صدورهم، كان الجيران كلما وضعوه في حِجر أحدهم مات، بعدها بأيامٍ أو على الأكثر بشهرٍ أو اثنين، حتى أشاعوا عنه كذبًا أنه يجلبُ عزرائيل، أو أنه هو نفسه عزرائيل"(٢).

يعد المشهد السابق من قبيل التمهيد إلى الدخول في الواقعية السحرية، فقد جاءت به الكاتبة واستخدمت تقنية (الديالوج) الذي كان بين "محمد الفيل"

---

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ١٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٨، ١٩.

و"مروان"، فهو يُعد قفزة خيالية تدهش المتلقي، ورسالة رمزية تشير إلى الحقيقة التي كان عليها "محمد الفيل"، مما أُشيع عنه من أنه يقوم بتحضير ملك الموت (عزرائيل) أو هو (عزارئيل) نفسه، وهذا ما جعله ينفي عن نفسه ذلك، لإنهاء ما نُشِرَ عنه من المتلاعبين بعقول الناس، الذين يبتزون الناس اعتمادا على ضعف معتقداتهم الدينية في المجتمع.

لذلك لم يُصدِّق "مروان" هذا الكلام مما جعله يبتسم، وربما يستهزئ بما قصه له، تقول الراوية: "**ابتسم مروان ابتسامةً واسعةً، ويبدو أن هذه هي ضحكته، بانتْ أسنانه المنتظمة ناصعة البياض، فضحك محمد الفيل:**

- **يا سلام! النبي تبسَّم**"[1].

ثم يحاول "محمد الفيل" توضيح ما أُشيع عنه بين الناس، لكنه يأتي بالواقعية السحرية التي يقصها لمروان بأنه يرى(عزرائيل)، تقول الكاتبة: "**وواصل كلامه:**

- **ملأ كلامُ الناس المسموم عني كفرَ الصيادين، وانتقل من فمٍ لفمٍ فيكبرُ، وأخذ يطير في الفضاء ويتكاثر هناك.**

- **كنتُ في العاشرة من عمري، حين أحضرتُ حجرًا وكسرتُ ترباس عُشّةِ أبي وعدتُ إليها، ومن يومها صرتُ صيادًا؛ أصطاد بيديَّ رزقي كل فجر، والأهم أنني ابتعدتُ عن الناس الكذّابين كلهم؟ باللهِ عليك كيف أكون عزرائيل، وقد كنتُ أراه أمام عينيَّ كما أراكَ الآن؟!**

حملق مروان إلى عينيه، وهمس بصعوبةٍ كلمتين وكأنه يزن كلامه ليبيعه في دكانِ الكلام:

---

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ١٩.

- **ترى مَن؟**
- **أرى عزرائيل؛ مَلك الموت.**

ابتسم مروان ثانية ابتسامته الواسعة، ولكنه لا يحب – كما يبدو– الكلام، فظلَّ صامتًا بعدها مثل صخرةٍ"(١).

في المقطع الحواري السابق لم يخل من الواقعية السحرية؛ فمحمد الفيل يحكي لمروان أمرا غريبا وخيالي لم يحدث من قبل إلا مع الأنبياء والمرسلين كما نعلم، مما أدهش مروان، وهذا أدعى لإصابة المتلقي بالتردد؛ فأول الأمر نفي "محمد الفيل" عن نفسه اتهام الناس له بأنه يجلب "عزرائيل"، أو أنه عزرائيل نفسه، ثم يشير في المقطع السابق إلى أنه يراه، وربما كلامه في ذلك ما جعل الناس تحكي عنه مثل هذه الأمور؛ حتى قيل إنه "عزرائيل" نفسه، فاختلطت الأمور بعضها ببعض، وهذا الوصف عجائبي يصيب المتلقي بالاندهاش مما قصَّه "محمد الفيل"، وهذا أمر لم نعهده من قبل لأحد من رؤية "عزرائيل" فلم نعلم حدوث ذلك إلا مع الأنبياء والمرسلين، كما تروي المصادر وكتب السير.

تقول الكاتبة:" **تجرَّأ محمد الفيل وسأله:**

- **هل رَمَتْ نفسها في البحر؟ أقصد صاحبة هذه الشكمجية... أظنني رأيتُها بين اليقظة والمنام؛ هي عسلية الشَّعر مثل عروس البحر، شعرها بلون العسل الفاتح ويهفهف خلفها مثل سحابة، بشرتُها شفافة بلونٍ يستحيلُ وصفه، وعيناها؛ يا لهما من عينين! ربما كانتا رماديتين مثل لون البحر في شبورة الصباح... صاح مروان:**

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ١٩.

- ماذا تقول أيها المعتوه؟ إنها ميتةٌ... ميتةٌ... ابتلعَها البحرُ منذ شهرٍ.

- لو أنها هي كما وصفتها لكَ... أقسم لحضرتكم أنها ليست ميتة، فأنا أعرف الميتين حين أراهم.

- وهل ترى الميتين أيها المخبول؟

- نعم. أراهم دائمًا، وأنا بين اليقظة والمنام، فكلُّ أهلي كما حكيتُ لكَ أمواتٌ، وهم يزورنني ليطمأنوا عليَّ. عادةً، الأمواتُ يظهرون لي باللونين الأسود والأبيض، وما بينهما من درجاتٍ لا حصرَ لها من الرمادي...

ثم توقف عن المشي عندما توقف مروان لينظر إليه بذهولٍ، فأضاف مفكرًا بعمقٍ:

- يبدو أن الألوان ممنوعةٌ عن الموتى؛ اللون الرمادي يغلبُ على كلِّ ملابسهم، حتى أنه يلوِّن شعرهم وحواجبهم ورموشهم، ولكن أقسم لكَ أنني رأيتها ملونةً؛ شعرها بلونِ العسلِ، أو يقترب من الذهبي مع شروقِ الشمسِ، وشفتاها قرمزيتان، ورغم أن فستانها من الساتانِ الأبيض اللامع، فإنه به تطريز فستقي وأحمر اللون على طوقِ صدرِه وعلى ذيلِه وعلى كُمَّيه الواسعين.

فتح مروان فمه، وهو غيرُ مصدقٍ، وردَّد بذهولٍ:

- به تطريز فستقي وأحمر اللون على طوقِ صدره وعلى ذيلِه وعلى كُمَّيه الواسعين، ثم تمتم:

- إنها عباءتُها التي ارتدتها يوم غرقها.

فصاح به محمد الفيل هذه المرة:

- هيا بنا يا بِك، حتى لا نتأخر على الباشا، هل تريد أن يقتلني يا رجل؟!

عندما حفرا حفرةً عند شاطئِ البحرِ تمامًا، وأخرجا الشكمجية، وبَّخه مروان صائحًا:

- أيها المعتوه، لو أننا صبرنا عليها ليومٍ آخر لجرفها المدُّ، وراحتْ في البحر من جديدٍ.

فصاح محمد الفيل بدوره:

- أنا صيادٌ، وأعرف طِباعَ البحر أكثر منكَ"(١).

في المقطع السابق يتحدث "محمد الفيل" مع "مروان" الذي أرسله الباشا لأخذ "الشكمجية" منه وإحضارها إليه عن صاحبة هذه الشكمجية، وأخبره أنه يراها بين اليقظة والمنام رُغم موتها، مما جعل "مروان" يدهش من هذا الكلام، وهذا كله من قبيل الواقعية السحرية، وهذه القصة العجيبة التي قام بسردها تعود إلى زمن من الأزمنة الغابرة، نَقَلَتْ إلى المتلقي الشعور بالاندهاش والاستغراب حين انتقل إلى زمن غير زمنه، زمن الأساطير، ومثل هذه الرحلات التي يرتحل فيها من الزمن الحاضر الذي مثلته الرواية إلى أزمنة الماضي، تشتمل على عدد لا يحصى من العوالم المتوازية التي يقع كل واحد منها بجزء من الثانية خلف الآخر، ويكون السفر الزمني انتقالا جانبيا من عالم إلى آخر(٢).

---

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ١٩، ٢٠.

(٢) ينظر: المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، تأليف/ كولن ولسون، ترجمة/ أنيس زكي حسن ص ١٥٤، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٨م.

ثم ينتقلُ الحديثُ في الروايةِ مع أحدِ شبابِ ثورةِ ٢٥ يناير، وذلك في الفصلِ السادس، تقول الراوية العليمة: "**التصقَ به الاسمُ عندمَا أصابَتْه لوثةُ التظاهرِ في المرحلةِ الثانويةِ ... في هذه الفترةِ عام 2005، بدأتْ الوقفاتُ الاحتجاجيةُ في مصرَ كلِها. وعرفَ طريقَه ليشاركَ الواقفينَ على سلالمَ نقابةِ الصحفيينَ والمحاميينَ، ومصانعَ الغزلِ والنسيجِ الخاويةِ على صَدأ ماكيناتِها، وميدانِ التحريرِ، وحلقاتِ كفايةِ الصامتةِ، والحرمِ الجامعي، وأمامَ أبوابِ السجونِ للإفراجِ عن مساجينَ الرأي.**

أمسكَ أحدُ ضباطِ أمنِ الدولةِ يَاقةَ قميصِه، وسألَهُ في إحدى الوقفاتِ:

- **أنتَ مَنْ بالضبط يا ابني؟**

لم يفهمْ سؤالَه، فتبرعَ أحدُ الشبابِ المتظاهرينَ مِنَ الملتحينَ مُفسرًا:

- **يقصدُ يا أخي الكريمِ، لأي فصيل تَنتمِي؛ الإخوانِ المسلمين أم 6 أبريل أم الشيوعيينَ؟**
- **إخوان مسلمون! شيوعيون! أعوذُ باللهِ، ثم ما هي 6 أبريل هذه يا باشا؟ أنا عمرو مظاهرات؛ اسمي عمرو مظاهرات.**
- **فصرخ الضابطُ:**
- **يعني يروح أمك، أيُّ مظاهرة راشقَ فيها والسلامُ!**
- **فأجاب بصوتٍ خافتٍ:**

- بصراحة يا باشا... آه. فأنا لا يعجبني أيَّ شيءٍ ممَّا يحدث في بلدنا، حالُها يا عيني لا يَسرُّ عَدوٌ ولا حبيب..."(١).

ثالثا: المكان: كان له الأثرُ الأكبرُ في الروايةِ (شيء من سالومي) فيلحظ أن الرواية تستندُ إلى عدةِ فضاءاتٍ مُنغلقةٍ ومنفتحةٍ، بعضُها عدائي والأخر حميمي دونَ أن ننسَى الأمكنةَ المقدسةَ، فقد ورد عدة أماكن، وقد أجادت الكاتبةُ في وصفِها بدقةٍ متناهيةٍ، حيثُ تحوي الروايةُ أمكنةً عسكريةً ومدنيةً وإداريةً ودينيةً وعائليةً وتجاريةً وأسطوريةً قائمةً على الواقع والمزج أحيانا بالغرابة والتعجيب، ثم إلى القهر والتسلط والقمع والفساد ومصادرة حقوق الإنسان، وهكذا نجدُ الكاتبةَ تمزجُ الخطابَ الفلسفي بالخطابِ الصوفي أو ما هو وجداني بما هو عقلانِي على مستوى المقتبساتِ النصيةِ استشهادا وتوضيحا وبيانا وتوكيدا وإحالة وترميزا علاوةً على جمعِها بين خطابِ الروحِ اللدنيةِ وخطابِ القوةِ الوجوديةِ، وأصبحتْ ظاهرةُ المقتبساتِ النصيةِ من سماتِ الروايةِ الحديثةِ، وبدأتْ تظهرُ في كثيرٍ من النصوصِ الروائيةِ الجديدةِ والمعاصرةِ.

رابعا: اللغةِ: فكانتْ حيةً غضةً مليئةً بالأسرارِ والتأويلِ الذي يتطلبُه هذا العملُ السردي والذي مزجت فيه الكاتبةُ الحقيقةَ بالخيالِ للوصولِ لغايةٍ نبيلةٍ فلغةُ السردِ هي اللغة التي يتحدثُ بها السارد في متن النص الراوائي والقصصي، وهي تعكس ثقافته وقدرته على ابتكار الكلام ورصانة الأسلوب، ويفترض في هذه اللغة أن تكون فصيحة وراقية، وهذا ما يلحظه المتلقي في الرواية؛ فلغتها راقيةٌ فصيحةٌ واضحةٌ وعذبةٌ، وهي معبرة عن واقع

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ٥١.

شخوصها؛ ومما يدلل على لغتِها الرصينة وأسلوبِها المتأنق كثير من المشاهد الوصفية التي جاءت في لغةٍ شعريةٍ ذاتَ مفرداتٍ مكثفةِ المعاني، ويبدو ذلك من خلالِ تعبيراتِها. وبذلك تكون لغة الكاتبة لغة تمتاز بصبغتها الغنائية الإيقاعية، وهذه الصبغة أكسبت لغتَها السردية رهافة المفردات، وثرائها الصوتي والدلالي، وجمال الأسلوب، وبراعة التصوير؛ وذلك يلحظ عند قراءة هذا المشهد الوصفي في إبطاء السرد، تقول الراوية العليمة: "**يُلقي عليها رسائلَه ويَمضي، دونَ أنْ ينتبَه للنيرانِ التي يُشعلُها في قلبها. لا يرفعُ بصرَه عنها لساعاتٍ وأيامٍ ويكادُ يلتهمُها حيَّةً مِثلمَا يُؤكلُ المَحَارُ، ثم يسافرُ تَاركًا إياها مِثلَ قطعةِ ثلجٍ على مَوقِدٍ، تَذوبُ أولًا على مَهَلٍ، لتتحولَ إلى ماءٍ، قبلَ أن تتبخرَ تمامًا، تحدقُ إلى النجومِ المتلألئةِ الميتةِ والهائمةِ مُنذُ آلافِ السنواتِ في السماءِ، وتكادُ أذناها تَشرئبانِ وهي تُحاولُ ملاحقةَ صوتِ علي منصورِ الساحر، القادمُ من حديقةِ خِلوتِه، وهو يُدندنُ على عودِه: فتغلقُ عينيهَا وتحاولُ أنْ تنامَ:**

واللهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ إلا وحبُّكَ مقرونٌ بأنفاسي"(١)

من هنا يلحظ الاقتباسُ صورةً من صورِ استلهامِ التراثِ في العملِ الأدبي؛ حيث تضمنُ الكاتبةُ كتابتِها شحنةً تراثيةً تقيمُ عَلاقةً ما داخلُ العملِ الفني.

وبهذا تصبح اللغة قوية متينة معبرة عما يريد القاص، لغة فصيحة عذبة، إنها لغةُ أديبٍ عاشقٍ لجمالياتِ اللغةِ؛ حريص علي الاستعمالات السليمة لها، كما أنها عبرت عن الواقع، وتجسد فيها عنصر المبالغة في الوصف.

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ٢٥.

كما وظفت تقنية الحوارِ في روايتها وهي عنصر مساعد للعناصر السردية الأخرى وذلك يلحظ عند حديث الشخصيات في الحوار عند السؤال والإجابة وورد ذلك في عدة مواضع في الرواية، كذلك يلحظ تجليات الواقعية السحرية في لغة السرد والحوار، كما غلب على الحوار والسرد الأسلوب القصصي يغلب بأسلوب الراوي العليم المتخفي، وبذلك تستطيع الكاتبة إشباع روايتها بالتجديد وتداخل الأجناس الأدبية؛ من خلال استخدام تقنيات لغوية قائمة على الحوار، والتناص، والشعرية، والتشكيلات والمقاطع الفنية، ما يدل على أن المستوى الذي تهدف الكاتبة إلى بلوغه هو استفزاز القارئ المتمرس، ومطالبته بالحفر العميق داخل النصوص لوصول إلى ما تريد.

خامسا: الأحداث والقصص: فهي لا تسير على نمط واحد، ولكنها تأخذ عدة أشكال؛ فقد تسير في خط متتابع، أو متداخل، وقد تأخذ شكل أحداث متزامنة تشترك في الزمن، وتختلف في المكان الممزوج بالواقع والخيال.

ويعد الحدث المتداخل من أكثر أنواع الحدث شيوعا في رواية "شيء من سالومي"، وذلك باعتبار تداخل العالمَين الواقعي والسحري، أو باعتبار تداخل أكثر من حدث، ومثل هذه الأحداث تكون في زمن واحد، وتأخذ شكل الاسترجاع لأحداث ماضية في أحداث حاضرة.

سادسا: الزمان: استخدمته الكاتبة وبدا هذا جليا، وذلك عندما لعب الاسترجاع دورا تفسيريا؛ إذ تسلط الضوء على ما فات، أو غمض من حياة الشخصيات في الماضي، أو ما وقع لها خلال غيابها عن السرد؛ فالأحداث المسترجعة تكتسب أبعادا جديدة

تنعكس في تجربة الحاضر بما يسهم في إضاءة الذات، وعلاقتها بالآخر. فالراوية العليمة من خلاله "تستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية، أي بعد بدايتها، ومن ذلك الاسترجاع الخارجي: "**ذاتَ مرةٍ وهي طفلةٌ أضحكتْهم على شاطئ رأسِ البرِّ عندمَا هتفتْ: "إن رائحةَ البحرِ هي رائحةُ أبي."، ثم بَكتْ حينَ ضَحكوا عليها، وأقسمتْ إنَّها تَشم رائحةَ الموجِ، سَألَها أبوها: هلْ تشبِهُ رائحةَ السمكِ أو الملحِ أو اليودِ، ولكنَّها كلُّ مرَّةٍ تَهُزُّ رأسَهَا بِغَيظٍ مُرددةً:"هي رائحةُ أبي". نعم، رائحةُ هذا الرجلِ تشبه رائحةَ السماءِ بَعدِ المطرِ**"(١).

حيث يلحظ فيما سبق أن الراوية تتحايل على تسلسل الزمن السردي من خلال هذه التقنية، ونظرا لاختلاف الماضي من الأحداث المسترجعة من ماض حدث قبل بداية الرواية، أو ماض حدث بعد بدايتها؛ فقد تنوَّعت صور الاسترجاع التي انقسمت إلى استرجاع خارجي يعود إلى ما قبل بداية الرواية واسترجاع داخلي، وفي الاسترجاع الداخلي تعودُ إلى الماضي وتذكره بصورة من صور المفارقة الزمنية التي تختص باستعادة أحداث ماضية وقعت بعد بداية زمن الحكاية.

(١) ينظر: رواية شيء من سالومي، ص ٦، ٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث توصلت إلى أهم النتائج والتي من بينها:

- إن البحث يظهر تمسك الأديب العربي بالقضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية، وبذلك يرد الأديب والمفكر العربي بشكل عملي من خلال أدبه بمواكبة الثقافة العالمية.

- التأكيد على قِدَمِ "الواقعية السحرية" في الأدب العربي القديم، وإن اختلف مسمياتها، فالمضمون واحد، فهي قديمة في التراث العربي بالأدلة والبراهين.

- جدة موضوع الواقعية السحرية في رواية "شيء من سالومي" في أدب الدكتورة سهير المصادفة، ومحاولتها نقد الواقع بمختلف مضامينة وتنوعاته.

- يمكن معالجة الواقع باستخدام شتى الوسائل، والتي من بينها الخيال والفانتازيا أو ما يسمى بالواقعية السحرية، وذلك من أنجح الوسائل التعبيرية، دون تعرض الأديب للخطر المتربص به بعد النقد.

- إن رواية شيء من سالومي للدكتورة سهير المصادفة تؤكد عمق التجربة بما تحمله من رؤى فكرية وإنسانية وجمالية تميزت بها الرواية.

– آثرت الكتابة مجموعة من الأحداث في قصص جميلة ومشوقة سردتها بشكل سحري فانتازي، مما يعبر عن الواقع المؤلم الغاشم، الذي لا أمن فيه ولا منطق، إنه عالمنا الحاضر الذي نعيش فيه.

– ترصد الرواية أساليب الحياة المصرية وطقوسها المختلفة التي تخاطب وجدان القارئ وتؤجج تواصله مع المحكي والمتخيل، وذلك في لغة شاعرية لكاتبة متمرسة تعرف وتمتلك مفردات الفن الروائي وأدواته وسحره الجذَّاب.

التوصيات:

– إعطاء الواقعية السحرية حجما أوسع في مجال دراستها في النثر العربي، خاصة في الرواية العربية.

– الاهتمام بالواقعية السحرية، ومحاولة تطويرها ليتسنى للباحثين الاعتماد عليها في دراسات لاحقة.

– دراسة الواقعية السحرية في الرواية المصرية المعاصرة؛ مما يسهم في الكشف عن إفادة الرواية المصرية من طاقات التراث العربي في التأسيس لسرد جديد ينهل من معين التراث العربي الزاخر بموضوعات الواقعية السحرية.

– العناية بالأدب الروائي للكاتبة سهير المصادفة، وضرورة استكمال الدراسات حول أعمالها الروائية، فأعمالها لا تزال تستحق الدراسة والبحث.

المصادر والمراجع

- بنية الشخصية في روايات "سهير المصادفة" – بياض ساخن أنموذجا– دراسة سيميائية، للباحثة/ يمنى محمد السيد إسماعيل، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، سنة ٢٠٢٢م.

- جابريل جارثيا ماركيز بين جائزة نوبل ١٩٨٢م ووفاته، سنة ٢٠١٤م، للدكتور/ حامد أبو أحمد، مجلة إبداع، العدد ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠١٤م.

- جابريل جارثيا ماركيز بين جائزة نوبل ١٩٨٢م، ووفاته ٢٠١٤م، في الواقعية السحرية، للدكتور/ حامد أبو أحمد، دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

- حبكة العجائبي في المتخيل السردي، لميسوم عبد القادر، حولية كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ديسمبر، سنة ٢٠١٤م.

- رواية شيء من سالومي، تأليف الدكتورة/ سهير المصادفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ٢٠٢٢م.

- سحر العجائبي في رواية وراء السراب قليلا، تأليف/ نجاح منصورى، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢م.

- السرد بين الرواية المصرية والأمريكية، تأليف/ عفاف عبد المعطي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٧م.

- العجائبية في أدب الرحلات، رحلة ابن فضلان نموذجا، رسالة ماجستير مخطوطة، إعداد الباحث/ علاوى الخامسة، كلية اللغات والآداب، جامعة منتورى، الجزائر، سنة ٢٠٠٥م.

- الفن الروائي، تأليف/ ديفيد لودج، ترجمة/ ماهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٢م.

- المعقول واللامعقول في الأدب الحديث، تأليف/ كولن ولسون، ترجمة/ أنيس زكي حسن، منشورات دار الآداب، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٧٨م.
- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، للدكتور/ صلاح فضل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.
- الواقعية السحرية في الرواية العربية، تأليف الدكتور/ حامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.
- الواقعية السحرية في الرواية المصرية المعاصرة، رسالة ماجستير، مخطوطة، إعداد الباحثة/ إيناس نبيل محمد، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، سنة ٢٠١٠م.
- تكملة المعاجم العربية، تأليف/ رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه/ محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، سنة ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.
- موقع الدستور: https://www.dostor.org/4183037
- موقع ويكيبيديا:
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A9
- https://efonoon.com/products/seashell-box-d1c2f3b5008
- https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1146314915386025&id=343130529037805&set=a.81960877805664

Features Magic realism in the Novel Something of Salome by Dr suhayr almusadafa between Theory and practice

Abstract:

This research deals with “the features of magical realism in the novel “Something from Salome by Dr suhayr almusadafa between trend and application.” It deals with many political and religious issues based on the “magical realist” vision of imagination, as it works to highlight its topics, the most important of which are its treatment and important purposes in the history of Egypt. Therefore, a major change in change will continue to change the idea, and only the narrative piece will remain in the novel.

The research relied on the analytical approach in presentation and analysis. It began with an introduction, which included a general overview of magical realism and the reality of the term, then a brief definition of the writer and a presentation of her works and scientific life, then a brief discussion of the novel “Something of Salome,” then a spotlight on some of the problems that the novel addressed.

The research also addressed the various artistic characteristics in form and content, upon which the novel was built, including time, place, people, events, and language. Then it concluded with a conclusion that included the most important results reached by the research and study.

Keywords: Magic realism-Salome- suhayr almusadafa-Theory and practice.